زهف الحرف الأدبي

البَابُ الأَخِيرُ

نهايات، تحوّلات، وبداية جديدة

المؤلفين: فريق زهف الحرف الأدبي

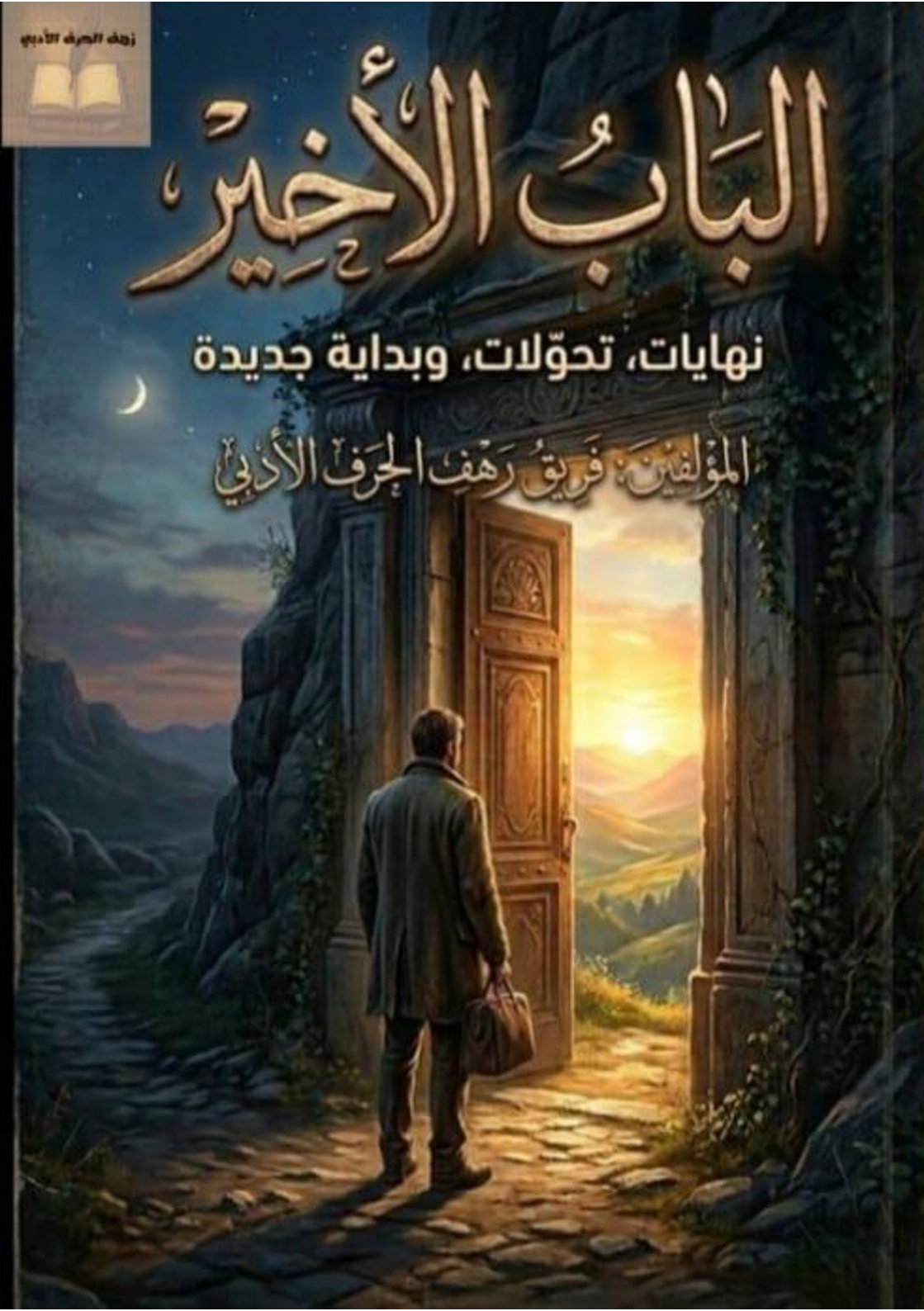

الباب الأخير

٢٠٢٦

إشراف:

حماده الحصني

تدقيق:

ريتاج الحمايدة

تنسيق:

رهف وسيم رمانه

هذا الكتاب تحت إشراف وإدارة: فريق "رُهف الحرف" الأدبي ولا يسمح لأحد بسرقة أو أخذ أي نص منه دون إذن رسمي من إدارة الفريق ثم من صاحبة النص

توقيع المدير العام للفريق:

رهف وسيم رمانه

الإهداء:

إلى أولئك الذين وقفوا يوماً أمام بابٍ مغلق، وفي قلوبهم غصّة التخلّي..

إلى من ملكوا شجاعة الخطوة الأخيرة، وآمنوا أن خلف كل نهاية.. بداية تنتظر من يعبر إليها

المقدمة:

في حياة كلٍّ منا "بابٌ أخير" نصل إليه بعد رحلة طويلة من المحاولات، والتردد، والوقوف في المنتصف. هذا الكتاب ليس مجرد نصوصٍ تُقرأ، بل هو مرآة لتلك اللحظات الحاسمة التي يُجبر فيها المرء على مواجهة خياراته المصيرية. إنه يروي قصة تلك الخطوة التي لا عودة بعدها، الأبواب التي نختار أن نغلقها بأيدينا—وربما بقلوبنا—رغم كل ما يربطنا بها من حنين، ليس رغبةً في القسوة، بل إيماناً بأن البقاء في المكان الخاطئ هو القسوة عينها.

الكاتبة: رهف وسيم رمانه

"أين سيكون الباب الأخير؟"

بعد كل بابٍ كان يُغلَق في وجهي، كنت أظن أن الطريق انتهى عند ذلك الباب، وأنه لن يبقى بعده سوى الصمت. لكن في كل مرة كان يُفتَح بابٌ جديد من الأمل والتفاؤل، ليُثبت لي أن هناك متسعًا للحياة مهما ضاقت.

وهكذا بقيت أسير في دروب الحياة، وأدركت أن الوقوف أمام العثرات لا يغيّرها، وأن السير وحده هو الذي يصنع الطرق. وتعلّمت ألّا أتوقف عند أي عقبة تعترض طريقي، ولا عند أي بابٍ يُغلَق في وجهي، بل أبقى على يقينٍ بأن الله يفتح أبوابًا لا تُحصى بدلًا من الباب الذي أُغلِق، وأنه قادرٌ على تغيير مجريات الحياة كلها من أجلنا.

لذلك، بقيت أحاول وأنجح في مختلف الأمور رويدًا رويدًا. ومن أبرز المواقف التي مررت بها قصة فريقي؛ فعندما يئست، ألغيت فريقي، وظننت أنني لن أعود إليه مرة أخرى إلا بعد وقتٍ طويل جدًا. لكن لم تمضِ سوى فترة قصيرة حتى عدت أحمل من القوة ما جعل السقوط الأول مجرد بدايةٍ للنهوض، وبنيت فريقًا جديدًا، وأدخلت الأعضاء واحدًا تلو الآخر، حتى أصبح عددهم خمسين عضوًا، بتعبي وجهدي، كي لا يكون لأحدٍ فضلٌ يمنّ به عليّ.

{الباب الأخير}

ومع مرور الوقت، رأيت فريقي يصبح من أنجح الفرق، ويصل عدد أعضائه إلى مئةٍ وعشرين عضوًا. فبعد أن استسلمت لليأس يومًا، نهضت بقوةٍ لم يستطع أحد إيقافها.

وهكذا تعلّمت أنه لا يوجد بابٌ أخير في هذه الحياة؛ فإذا أُغلِق باب، فتح الله لنا أبوابًا لا تُحصى، ولكن ذلك يتطلب منا أن نكون أقوياء، وأن نستمر في السعي رغم جميع التحديات.

واليوم، لم أعد أبحث عن الباب الأخير، لأنني أيقنت أن رحمة الله لا تعرف بابًا أخيرًا، وأن لكل بابٍ يُغلَق بابًا آخر ينتظر أن يُفتَح في الوقت الذي يختاره الله.

الكاتبة: رهف وسيم رمانة

الكاتب: حماده الحصني

"مقدمة الحبر والروح"

ليس الحرفُ مجرد رسمٍ على ورق، بل هو زفرة الروح حين تضيق بها المسافات، وهو الملاذ الأخير الذي نلوذ إليه عندما تزدحم في صدورنا الحكايا وتأبى أن تُقال جهراً. إن الكتابة، في جوهرها، ليست ترفاً فكرياً ولا تزجيةً للوقت؛ بل هي عملية مخاضٍ عسيرة، نولد فيها مع كل سطر، ونموت عند نهاية كل فصل، لنبعث من جديد في فكرةٍ أبهى وأعمق.

في هذا الكتاب، لم أرد أن أمنحكم كلماتٍ عابرة تمرّ على الأعين مر السحاب، بل أردتُ أن أهديكم قطعاً من العمر، ومواقف صهرتها الأيام في بودقة التجربة. لقد أبحرتُ في بحار الذات العميقة، واجهتُ أمواج الحنين، وعواصف الفقد، وتلمستُ خيوط الفجر التي تولد دائماً من عتمة الليالي الطويلة. أردتُ أن أصنع من الكلمة مرآة، يرى فيها كل عابرٍ ملامح روحه، ويسمع بين السطور صدى صوته الخافت الذي خنقته ضوضاء الحياة.

ستجدون بين هذه الدفات صراعاً أزلياً بين البدايات والنهايات، وكيف أن كل نهايةٍ نخشاها ليست في الحقيقة إلا باباً سرياً يفضي إلى بدايةٍ أجمل. إنها دعوة لنتأمل تلك التفاصيل الصغيرة التي نصنع منها حيواتنا، وتلك العواطف التي تعصف بنا فتغير مجرى أقدارنا. الكلمات هنا لا تدعي الحكمة، بل تدعي الصدق؛ والصدق هو الجمال الوحيد الذي لا يشيخ في عالم الأدب.

{الباب الأخير}

إلى كل من يحمل في قلبه حكاية لم تكتمل، وإلى كل عابرٍ يبحث في زوايا الكتب عن دَفءٍ يفهمه، وإلى الأرواح الظامئة للجمال والعمق؛ أشرعُ لكم هذه الصفحات. ادخلوها بقلوبكم قبل عيونكم، وفتشوا في طياتها عن أنفسكم، فلعلّ سطراً واحداً من هذه السطور يكون بمثابة اليد الدافئة التي تمسح على قلوبكم في لحظة صمت

الكاتب: حماده الحصني

الكاتبة: ريتاج منور الحمايدة

"الباب الاخير"

لم يكن أصعب ما مررت به أن يُغلق بابٌ في وجهي بل أن يُطلب مني أن أعبر بابًا لم أختره يومًا.

كان حلمي أن أدرس القانون.

كنت أرى نفسي بين النصوص والمواد القانونية، أدافع عن الحق وأمنح صوتًا لمن لا صوت لهم. لم يكن مجرد تخصص جامعي، بل حلمًا كبر معي عامًا بعد عام، وصورة رسمتها لمستقبلي بكل تفاصيله.

لكن الأحلام لا تنتصر دائمًا. في لحظة واحدة، وجدت باب القانون يُغلق بصمت، وكأن الحياة أخبرتني أن الطريق الذي رسمته لنفسي لم يعد موجودًا.

دخلت تخصص تكنولوجيا المعلومات مجبرة أحمل في قلبي رفضًا كبيرًا.

كنت أدخل المختبرات وأجلس في الحصص وأنا أشعر أنني أنتمي إلى مكان آخر، وكأنني أعيش حياة لم أخترها لنفسي.

كنت أكره كل شيء في هذا الطريق، لا لأنه سيئ بل لأنه لم يكن حلمي. كنت أنظر إلى الشاشات والأكواد وكأنها تذكرني في كل مرة بالباب الذي أُغلق في وجهي، فأقارن كل خطوة أخطوها بالحلم الذي تركته خلفي، ويكبر داخلي شعور الخسارة.

ومع مرور الوقت، بدأت أفهم أن الحياة لا تمنحنا دائمًا ما نريد، لكنها تمنحنا ما قد يصنع منا شخصًا أقوى. لم يصبح الطريق سهلًا فجأة، ولم يختفِ حنيني للقانون، لكنني تعلمت أن أتعامل مع واقعي، وأن أبحث عن نفسي داخل باب لم أختر طرقه.

ربما كان باب القانون هو الحلم الذي خسرته، لكن الباب الأخير الذي فُتح أمامي لم يكن نهاية حكايتي، بل بداية نسخة جديدة مني.

نسخة تعلّمت أن الإنسان لا يُقاس بعدد الأحلام التي حققها، بل بقدرته على الوقوف بعد أن يُغلق الباب الذي كان يظنه الحياة كلها.

أدركت أخيرًا أن بعض الأبواب تُغلق لتؤلمنا، لكنها تفتح في داخلنا أبوابًا أخرى لم نكن نعرف بوجودها. وربما... لم يكن الباب الأخير نهاية، بل أول الطريق.

الكاتبة: ريتاج منور الحمايدة

الكاتبة: نور المعاني

"بوابة إلى الذات"

كان الباب الأخير مختلفًا عن بقية الأبواب.

لم يكن موصدًا، بل كان ينتظرني بصبر، كأنه يعلم أنني سأهرب طويلًا قبل أن أمتلك شجاعة العبور.

لم أكن أخاف الأبواب يومًا، بل ما ينتظرني خلفها.

لهذا كنت أهرب دائمًا...

أختبئ داخل غرفتي، داخل كتبي ورسوماتي، أو حتى داخل الكلمات والأناشيد القديمة في سبيستون، تلك التي كانت تمنح قلبي شعورًا مؤقتًا بالأمان، كأن العالم ما يزال لطيفًا كما كان يومًا.

كنت أصنع لنفسي عوالم صغيرة لا يصل إليها أحد، عوالم لا يُطلب مني فيها أن أكون فتاةً بلا شخصية، أو نسخةً ضعيفة تتنازل دائمًا فقط لأنها أنثى.

عوالم لا أُجبر فيها على الصمت كي أبدو "صالحة"، ولا على التخلّي عن حقي، ورأيي، وحدودي، حتى يشعر الآخرون بالراحة.

عوالم لا يُدفن فيها الحلم باسم العادات والتقاليد، ولا تُقاس قيمة الإنسان بمدى طاعته وخضوعه.

هناك...

لم يكن عليّ أن أتخلّى عن الأشياء التي أحبها فقط لأنها لا تشبه ما يريدونه مني، ولم يكن عليّ أن أقتل أحلامي بهدوء كي أبدو فتاةً مثالية في أعين الجميع.

لم يكن عليّ أن أعتذر عن حساسيتي، أو أخفي خوفي، أو أتظاهر بالقوة بينما كنت أتفتت بصمت.

كنت أظن أن الهروب يكفي للنجاة، وأن الإنسان يستطيع العيش داخل الأشياء التي يحبها إلى الأبد.

لكن مع الوقت، بدأت أكتشف أن الهروب لا يُنقذنا دائمًا...

أحيانًا يؤجل سقوطنا فقط.

شيئًا فشيئًا، صارت تلك العوالم تضيق بي، لا لأنها تغيّرت، بل لأنني أنا تغيّرت.

وكأن جزءًا داخلي بدأ يتعب من الاختباء، وكان هناك سؤال يراودني باستمرار، بهدوءٍ مخيف، وكأنه يعرف أنني لن أستطيع الهروب منه طويلًا:

"من أكون حقًا... بعيدًا عن كل ما فرضه الآخرون عليّ؟"

لكن الغريب أن الأشياء التي كانت تنقذني سابقًا، لم تعد تفعل.

الأغاني التي كنت أحتمي بها، أصبحت تُشعرني بحنينٍ مؤلم بدل الطمأنينة، والكتب التي كنت أختبئ داخل صفحاتها، صارت تعيدني إليّ في كل مرة.

حتى رسوماتي...

لم تعد تشبهني.

كنت أنظر إلى وجهي في المرآة فأشعر أنني أعيش حياة كتبتها العادات والتوقعات عني، لا الحياة التي أردتها أنا.

فتاة تعرف كيف تُرضي الجميع، إلا نفسها.

ومع مرور الوقت، بدأت أشعر أن الباب في آخر الممر يقترب مني، لا العكس.

كأنّه يقول لي بصمت:

"لن تستطيعي الاختباء إلى الأبد."

وللمرة الأولى، لم أخف مما قد يكون خلف الباب...

بل خفت من فكرة أن أبقى كما أنا إلى الأبد.

لذلك اقتربت.

بخطواتٍ مترددة، وقلبٍ يحمل عمرًا كاملًا من الخوف والتردد والأسئلة التي لم أجرؤ يومًا على طرحها.

لم أكن أعلم ماذا ينتظرني خلف ذلك الباب، ولم أكن متأكدة إن كنت سأجد النجاة... أم نفسي.

لكنني كنت أعرف شيئًا واحدًا فقط:

أنني تعبت من العيش كنسخةٍ لا تشبهني.

تعبت من الجهل بنفسي، من ارتداء الوجوه التي يريدها الآخرون، ومن دفن صوتي الحقيقي تحت الخوف والعادات والتوقعات.

كنت أريد أن أعرفني أنا، لا كما وصفني الناس، ولا كما أرادوا لي أن أكون.

وحين وضعت يدي على المقبض، شعرت أن شيئًا داخلي يرتجف...

ليس خوفًا من الباب، بل خوفًا من الحقيقة التي قد أراها خلفه.

كنت أشعر أن شيئًا ما سيموت عندما أعبر، وربما كان ذلك الشيء هو جهلي بنفسي، أو تلك الفتاة التي اعتادت الصمت والتنازل حتى نسيت ملامحها الحقيقية.

ومع ذلك...

فتحت الباب.

وما إن فُتح الباب، حتى لم أجد خلفه مدينةً سحرية، ولا نورًا مبهرًا كما تخيلت دائمًا.

وجدتني أنا.

نسخةً مني كانت تجلس في منتصف المكان بصمت، تنظر إليّ وكأنها كانت تنتظرني منذ سنوات طويلة.

لم تكن مخيفة، ولا مثالية، لكنها كانت حقيقية بشكلٍ مؤلم.

كانت تحمل كل الأشياء التي حاولت الهرب منها:

خوفي، غضبي، أحلامي المؤجلة، والكلمات التي ابتلعتها خوفًا من أن أبدو مختلفة.

نظرت إليّ طويلًا ثم قالت:

"أخيرًا توقفتِ عن الهروب."

في تلك اللحظة أدركت أن الباب الأخير لم يكن بابًا للخروج...

بل بابًا للعودة إلى نفسي.

وأن أصعب الرحلات ليست تلك التي نقطع فيها المسافات، بل الرحلة التي نواجه فيها حقيقتنا دون أقنعة.

اقتربتُ منها ببطء، وكأنني أتعرف على شخصٍ ألتقيه لأول مرة، رغم أنه عاش داخلي طوال حياتي.

وحين احتضنتني، شعرت بشيءٍ ثقيل يغادرني أخيرًا...

شعرت أن الخوف الذي ربّاني، والجهل الذي قيّدني، والصوت الذي ظل يخبرني أنني يجب أن أكون أقل مما أريد...

بدأ يموت بهدوء.

أدركت حينها أن بعض الأبواب لا تُفتح لنغادر مكانًا...

بل لنغادر نسخة قديمة من أنفسنا.

النسخة التي اعتادت الخوف، والصمت، والتنازل، والعيش وفق ما يريده الجميع إلا هي.

شعرت وكأنني أترك خلفي عمرًا كاملًا من الاختباء، عمرًا كنت أراقب فيه الحياة من بعيد، دون أن أمتلك الشجاعة الكافية لأعيشها كما أريد.

لأول مرة، لم أشعر أنني مطالبة بأن أشرح نفسي لأحد، أو أن أعتذر عن أحلامي، أو أن أخفي صوتي حتى لا أبدو مختلفة.

لأول مرة، شعرت أنني أستحق أن أعيش الحياة التي تشبهني، لا الحياة التي اختارها الآخرون لي.

أدركت أن قوتي لم تكن يومًا في قدرتي على التحمّل، بل في نجاتي رغم كل شيء،

وفي قدرتي على النهوض كل مرة، حتى بعدما ظننت أنني انتهيت.

لم يتغيّر العالم كثيرًا، لكنني أنا تغيّرت.

وعندما التفتُ نحو الباب الأخير، لم أشعر بالخوف كما اعتدت دائمًا.

ابتسمت فقط...

لأنني فهمت أخيرًا أن الباب لم يكن نهاية الطريق، بل البداية التي كنت أهرب منها طوال حياتي.

وفي النهاية...

اكتشفت نفسي في التاسعة عشرة من عمري.

بعد سنواتٍ طويلة من الهروب، والخوف، ومحاولة أن أكون النسخة التي يريدها الجميع.

وها أنا الآن، لا أزال أتعرف إليها يومًا بعد يوم، أكتشف فيها أشياء جديدة،

وأرمّم تلك الأجزاء التي ظننت يومًا أنها لا تُشفى.

أدركت أن معرفة الإنسان لنفسه ليست محطةً يصل إليها وينتهي الأمر،

بل رحلة طويلة من الفهم، والسقوط، والنضج، والتغيّر.

لذلك...

اكتشفوا أنفسكم، ابحثوا عن أصواتكم الحقيقية وسط ضجيج العالم،

ولا تسمحوا لأحد أن يحوّلكم إلى نسخةٍ لا تشبهكم.

لا تعيشوا العمر كله وأنتم ترتدون وجوهًا اختارها الآخرون لكم.

ولا تقولوا إن الوقت قد تأخر، لأن الإنسان قد يجد نفسه بعد ضياعٍ طويل،

وقد يبدأ حياته الحقيقية في اللحظة التي يقرر فيها أخيرًا أن يكون نفسه.

بعض الأبواب لا تأتي لتنهي الحكاية...

بل لتعيد الإنسان إلى ذاته التي أضاعها في الطريق.

الكاتبة: نور المعاني

الكاتبة: حياة

"حياة... كما لم تشأ"

لم تحصل على الحياة التي أرادتها... بل عاشت الحياة كما أرادها القدر لها.

كانت تظن أن الحياة تشبه تلك الحكايات التي تسمعها الفتيات قبل النوم... بيت دافئ، زوج يحتوي خوفها، وأيام تمر بسلام دون أن تضطر كل ليلة إلى إخفاء دموعها داخل الوسادة.

لكن الحياة لم تكن يومًا كما تمنّت.

كبرت حياة وسط عائلة كبيرة، وكانت الأخت الثانية بين إخوتها. تتذكر طفولتها جيدًا، تتذكر صوت أقدام الأطفال في البيت صباحًا، صراخ أمها وهي توقظهم للمدرسة، ورائحة الخبز التي كانت تملأ المكان.

كانت طفلة تحب اللعب والضحك، تظن أن العالم بسيط، وأن الغد دائمًا أجمل.

لكن الفقر والتعب والمسؤوليات كانت أكبر من عمرها الصغير.

كل صباح، كانت الفوضى تملأ البيت؛ حقائب مدرسية، ملابس مبعثرة، أطفال يركضون، وأم متعبة لا تعرف من أين تبدأ.

وفي كل مرة كانت أمها تنادي:

"حياة... لا تذهبي إلى المدرسة اليوم، ساعديني في ترتيب البيت."

كانت تنزع عنها ملابس المدرسة ببطء، وكأنها تنزع حلمًا صغيرًا من قلبها.

ومع الأيام، أصبحت المدرسة مكانًا ثقيلًا عليها.

كانت المديرة تستقبلها كلما عادت بعد غياب وتقول بسخرية:

"أهلًا يا ست حياة... هل المدرسة على مزاجك؟"

وكانت تسمع ضحكات الطالبات من حولها، فتخفض رأسها بصمت.

وفي إحدى المرات قالت لأمها:

"إما أن أترك المدرسة نهائيًا... أو أذهب كل يوم. لم أعد أتحمل الإهانة."

وبكل بساطة... انتهى حلمها.

تركت المدرسة، بينما أكمل إخوتها تعليمهم، وبقيت هي حبيسة الجدران والأعمال المنزلية.

مرت السنوات، حتى جاء شاب لخطبتها.

كان يصلي في المسجد القريب من منزلهم، لذلك وثق به والدها سريعًا وقال:

"أحسبه صالحًا ويخاف الله."

وافقت العائلة، وتزوجت حياة.

في البداية شعرت بشيء يشبه السعادة، وكأن قلبها أخيرًا وجد مكانًا يستريح فيه.

ثم حملت، وأنجبت توأمًا من الأولاد.

حين حملتها للمرة الأولى، شعرت أن الله عوضها عن كل شيء.

كانت تنظر إليهما وكأنهما العالم كله.

لكن السعادة في حياتها كانت دائمًا قصيرة.

بدأ زوجها يتغير تدريجيًا.

أصدقاء كثيرون يدخلون البيت، جلسات طويلة، تصرفات غريبة، وروائح لم تفهمها.

وفي يوم دخلت غرفتها فجأة، فرأتهم يستنشقون شيئًا غريبًا.

قالت ببراءة:

"ما هذا؟"

فضحك زوجها، وقال:

"دواء للسعال."

لكن قلبها لم يطمئن.

وحين أخبرت والدها، بدأت الحقيقة تظهر.

كان زوجها يتعاطى المخدرات.

وفي ليلة لن تنساها أبدًا، جاء والدها ورأى الحقيقة بعينيه.

وقف غاضبًا وهو يقول:

"لو نزلت السماء على الأرض... لن تكون زوجتك بعد اليوم."

وفي لحظة واحدة، انهار بيتها الأول.

لكن المصيبة الأكبر لم تكن الطلاق...

بل أطفالها.

حين دخل زوجها السابق السجن، ودخل والدها وزوجها الثاني لاحقًا في قضية ظلم، طلب مقابل التنازل شيئًا واحدًا فقط:

"أطفالي."

يا الله...

كيف يمكن لأم أن تعيش بعد أن يُنتزع أطفالها من بين يديها؟

تقول حياة:

"إلى اليوم، وبعد أكثر من عشرين عامًا، ما زلت أتذكر آخر نظرة في عيونهم. ما زلت أسمع بكاءهم وهم يتعلقون بثوبي ويرفضون الذهاب. في تلك اللحظة شعرت أن قلبي خرج من صدري معهم."

كانت تموت كل ليلة شوقًا لهم.

كانت تتساءل دائمًا:

هل أكلوا جيدًا؟ هل مرض أحدهم واحتاجني؟ هل ناموا وهم يبكون؟

كانت تبكي بصمت حتى لا يسمعها أحد.

ثم جاء زواجها الثاني.

رجل أكبر منها بكثير، متزوج ولديه أبناء، وإحدى بناته كانت في عمرها تقريبًا.

لم تحبه.

لكنها تعلقت بجملة قالها لها:

"والله وبالله لن أحرمك من أولادك."

فوافقت.

وافقت لأنها كانت تبحث عن الأمان، لا الحب.

لكنها لم تجد لا هذا ولا ذاك.

بدأت مشاكل زوجته الأولى، ورفض الأبناء لها، ونظرات الكره التي كانت تلاحقها داخل البيت.

ومع ذلك صبرت.

كانت تقول لنفسها:

"أنا لم أسرق زوج أحد... هذا شرع الله."

ثم حملت مرة أخرى.

وحين ولدت طفلها، شعرت وكأن الله يربّت على قلبها المنهك.

ضمّته إلى صدرها وهمست: "الحمد لله... هذا الطفل لن يستطيع أحد أخذه مني."

لكن الحياة لم ترحمها حتى بعد ذلك.

توفي والدها.

رحل الرجل الوحيد الذي كان يشعر بها دون أن تتكلم.

الرجل الذي بكى خوفًا عليها أكثر مما بكى على نفسه.

قالت يومها: "علمني أبي كل شيء... إلا كيف أعيش بدونه."

وبعد وفاة والدها، أصبحت أكثر وحدة من أي وقت مضى.

ثم بدأت صديقتها تخبرها بأمور غريبة عن زوجها.

بيت جديد، أثاث جديد، وتحركات مريبة.

حتى اكتشفت الحقيقة.

زوجها تزوج امرأة أخرى.

وحين واجهته، قال لها ببرود: "الله حلل لي الزواج، وهذا حقي."

يا لقسوة بعض الكلمات حين تأتي من الشخص الذي كنتِ تنتظرين منه الأمان.

ومنذ ذلك اليوم، أصبح كل شيء بينهما باردًا.

لم تعد زوجة... بل مجرد امرأة تعيش في البيت.

كانت تخدمه، تربي أطفاله، تبتسم رغم تعبها، بينما قلبها يذبل بصمت.

وكان هو يبحث دائمًا عن امرأة جديدة تمنحه شعورًا جديدًا.

ثم جاء المرض.

بدأ ألم خفيف في صدرها، ظنته تعبًا عابرًا.

لكن الطبيب قال لها: "إنه مرض مزمن في القلب."

شعرت وقتها أن جسدها كله انهار.

لكنها لم تخف على نفسها. كل ما فكرت به كان أطفالها.

رفعت يديها إلى السماء وقالت: "يا رب... إن أخذت روحي، فاحفظ لي أطفالي."

أما زوجها، فكان رجلًا لا يرى إلا نفسه.

نرجسيًا، لا يحب إلا ما يمنحه السعادة، ولا يشعر بوجع المرأة التي تنهار بجانبه.

كان يبعدها عن الجميع؛ عن أهلها، عن أمها، وحتى عن صديقاتها.

وكان يقول دائمًا: "أنتِ لي وحدي."

لكنها لم تكن يومًا له.

كانت فقط امرأة تحاول النجاة وسط بحرٍ من الخذلان.

مرت السنوات، وأصبحت حياة أكثر هدوءًا... لكن ليس سلامًا.

كان الهدوء الذي يأتي بعد كثرة البكاء.

الهدوء الذي يشبه استسلام القلب بعد طول مقاومة.

وفي النهاية، فهمت شيئًا مهمًا: أن بعض الناس لا يعرفون الحب الحقيقي، لأنهم يحبون أنفسهم أكثر من أي شيء.

وأن الإنسان قد يعيش عمره كله يبحث عن حضن آمن... ولا يجده.

لكن رغم كل شيء، بقي فيها شيء واحد لم ينكسر: أمومتها. كانت متعبة، مريضة، مكسورة، لكنها ما زالت تقف كل صباح لأجل أطفالها. ولعل هذا كان أعظم انتصار لها.

لم تحصل على الحياة التي أرادتها... بل عاشت الحياة كما أرادها القدر لها.

قصة الكاتبة حياة.

الكاتبة: حياة

الكاتب: أحمد الأسود

{الباب الأخير}

"رحلت"

رحلتْ، وغارت بعيدًا تُحلّقُ نحو الأفقِ النائي، تاركةً خلفها أثرًا يلمعُ في ذاكرتي، ويُعيدُ إليَّ طيفها في كل لحظةٍ كنتُ فيها سعيدًا. رحلتْ بعيدًا نحو مكانٍ لستُ فيه، هاربةً من حبّي الذي زعمت أنه جرحها.

هكذا قالت لي: إنني جرحتُ كيانها! ولكن كيف؟ كيف لمن يحبُّ أن يجرح؟ أخبروني.. هل يؤذي الحبُّ أصحابَه؟ أفهموني.. كيف؟ علّموني كيف أستطيعُ أن أحبَّ دون أن أُدمي قلبَ من أحب.

هي رحلتْ وأنا بقيتُ؛ هي غادرتْ وأنا سكنتُ عوالمي الغارقة في كل تلك الفوضى التي تركتها خلفها. أحبها.. نعم، ولكنها لن تعود.

الكاتب: أحمد الأسود.

"اشتقت لها"

أشتاقُ إليها رغم كل تلك الأعاصير.. نعم، لكم أن تتخيلوا اشتياقي لمن تركتُها أنا بكلتا يدي. نعم، أنا من تركتُ ورحلتُ... كانت لدي أسبابٌ عصية على الحل، ولكنني أشتاقُ إليها.

كانت كوردةٍ جميلةٍ تسكن أعلى شجرة صبّار، وكنتُ كعصفورٍ قد ترك عشه وأشجاره ليحلّق أعلاها. أخبرتني: «نحن لسنا متوافقين، أنا وردة وأنت عصفور، وتلك الصبّارة ستؤذيك»، ولكنني رفضت وأبيت. أخبرتني أنه ليس علينا أن نحب بعضنا، فرفضت وتحديت؛ حذرتني أن حبنا لن يكون سهلًا، فواجهت وشددت جناحي... حتى آلمتني أشواكها وأنزفتني. تحملتُ واستحملتُ حتى شعرتُ يومًا أنه حقًا لسنا لبعضنا البعض.

رحلتُ يومها وتركتها عندما أخبرتني: «أنت لم تحبني، فلمَ قد أُعجبت بمظهري؟». شعرتُ حينها أن مجازفتي وكل عنائي من أشواكها ذهب هباءً منثورًا. رحلتُ، نعم رحلتُ وتركتها، ولكنني متُّ منذ حينها؛ صورتها لا تفارق خيالي، كلماتها، همساتها، ضحكاتها، كل شيءٍ يذكرني بها. في صحوتي أتذكرها، وفي منامي أتخيلها، وفي غفوتي ألمح طيفها.

عدتُ بعد أشهرٍ من المعاناة على فراقها، عدتُ لأنني شعرتُ حينها أنني ارتكبتُ خطأً بأنني تركتها، لأنها لم تكن تريد رحيلي حتى وإن كان حديثها يوحي بالرحيل؛ فأفعال المرء تعبّر عما بداخله أكثر من كلماته. قد يخطئ اللسان، ولكن لا يخطئ القلب والعين.

ولكن عندما عدتُ أخبرتني: «توقف، لم يعد هناك مكانٌ لك». اعتذرتُ، تأسفتُ، توسلتُ، شرحتُ وبررتُ، فعلتُ كل ما بوسعي، ولكنها رفضتني قائلة: «لقد تخطيتك ولم تعد بالنسبة لي شيئًا».

تلك الكلمات كسرتني أكثر من اشتياقي لها.

لا أعلم، أكان خطئي من البداية أنني رحلت، أم كان خطئي عندما عدتُ بعدما رحلت؟ ولكن لا يهمني هذا، كل ما يهمني وما يقتلني إلى حدِّ الآن أنني لا أزال أشتاقُ إليها.. فما الحل؟ أخبروني.

الكاتب: أحمد الأسود.

{الباب الأخير}

"طريق الحياة"

الحياة طريقٌ طويل، لا بداية واضحة له ولا نهاية. دربٌ يغصُّ بالمارة الغرباء. نركض في هذا الطريق خلف أشخاصٍ يبتعدون عنا، لكنهم يهتفون لنا باستمرار كي نلحق بهم.

وبينما نركض عبر السنين والأيام، نقابل ونصطدم بأشخاصٍ لا نعرفهم ولا يعرفوننا. هم في الحقيقة أقدارنا التي اختارها الله لنا، لكننا لا نتمعن في وجوههم، ولا ندرك الحكمة التي جعلتهم يتقاطعون مع مسارنا.

نستمر في الجري باحثين عن أشخاصٍ ليسوا لنا، بل اختارهم القدر لحياة أناسٍ آخرين.

وهكذا هي الحياة؛ نضيع في طلب الغريب، ونغفل عمّا وُضع بين أيدينا.

الكاتب: أحمد الأسود.

"إلى عزيزي "أنا"..."

كيف حالك؟ أأنت بخير؟ كيف تشعر؟ هل حان الوقت للرحيل؟ هل أنت متأكد من هذا القرار؟

تذكّر كم حاربنا، وكم تألمنا، وكم واجهنا من أجل أن نسير في هذا الطريق.. هل قرارنا أن نرحل الآن قبل أن نصل قرارٌ سليم؟ أنا لستُ متأكدًا، فماذا عنك؟

أعلم، ليس بأيدينا أي حيلة لنفعلها، فالاستمرار أمرٌ أصعب بكثير من أن نتراجع. ليس أمامنا سوى أن نرحل بعيدًا يا عزيزي.. لا تبكِ، أنا أعلم كم كان هذا مكلفًا عليك وعليّ. سنعاود الكرّة مرة أخرى في وقتٍ لاحق، ولكن في شيءٍ آخر.. نعم أعلم، حتى أنا خائف من أن نحاول في شيءٍ آخر ولا نصل، كما لم نصل في الأمور السابقة.

أعلم أيضًا أنها ليست المرة الأولى، بل الثانية، ونحن نرحل في منتصف الطريق، ولكن هذه المرة نحن نرحل على بُعد خطوةٍ ونصف من الحلم.. إنه أمرٌ صعب جدًا يا عزيزي.

تجعلني أبكي.. أرجوك توقّف، نحن أقوى من كل ما يحيط بنا. إنه أمرٌ لم يُكتب لنا.. ويكفينا شرف المحاولة، حتى وإن لم نصل؛ لقد حاولنا وجاهدنا واستمررنا في أصعب الأيام.

{الباب الأخير}

شكرًا لك يا عزيزي، سنحتفظ بذكرياتنا في هذه الرحلة، مع كل شخصٍ قابلناه. سنتذكر كل ضحكةٍ وكل ابتسامة، وكل رائحةٍ عطرة ورشفة شاي. سنتذكر انفعالاتنا وتصرفاتنا وكل شيء.

أنا فخورٌ بك يا عزيزي، وبنفسي، وبكل ما مررنا به، ولا تؤاخذني على دموعي يا عزيزي، إنه أمرٌ ليس بيدي.

الكاتب: أحمد الأسود.

الكاتب: سمير الخطيب

"صباح بلا حساب"

في الصباح الذي قرّر فيه أن يرحل، استيقظ قبل الأذان بقليل.

لم يكن ذلك من عادته. كان نومه دائماً ثقيلاً — نوم من يحمل شيئاً لا يريد أن يفكّر فيه حين يصحو. لكنّ تلك الليلة ظلّ يتقلّب كأنّ السرير ضاق به، كأنّ الغرفة بجدرانها الأربعة قرّرت أن تعترف أخيراً بأنّها لم تكن يوماً بيته.

نظر إلى السقف في العتمة.

بجانبه كانت سميرة نائمة، ظهرها إليه كعادتها منذ سنوات. في البداية كان يؤلمه هذا الظهر — يؤلمه أكثر مما يؤلمه أي كلام. ثم اعتاده. ثم صار هو الآخر ينام بظهره إليها. وذات ليلة فكّر أنّهما صارا كبابين موصدين، كلٌّ منهما يحمي ما خلفه ولا يعرف بالضبط ما الذي يحميه.

نهض بهدوء ووقف في منتصف الغرفة.

الظلام كان كافياً ليرى ملامح الأثاث دون أن يرى التفاصيل — وهذا، فكّر، يشبه حياته كلّها هنا. يرى الشكل العام ولا يرى ما بداخله. سرير، وخزانة، ومرآة تعكس رجلاً يحدّق فيها كأنّه يرى غريباً. متى صار وجهه غريباً عليه؟

جلس على حافة السرير.

ليس لأنّه تردّد. بل لأنّ هذه اللحظة كانت تستحق أن يجلس فيها. ثمانية وعشرون عاماً لا تُغادَر وأنت واقف.

فكّر في أوّل يوم جاء فيه إلى هذا البيت عريساً — كان يحمل في قلبه شيئاً يشبه الأمل، أو ربما كان يشبه الطاعة، لم يعد يميّز بينهما. سميرة كانت جميلة بثوبها الأبيض، وأهله كانوا سعداء، وهو كان يبتسم لأنّ الجميع حوله يبتسم. هل أحبّها؟ سأل نفسه هذا السؤال مرّات لا تُحصى خلال السنوات الماضية، وفي كلّ مرّة كان الجواب يأتي ضبابياً — لا نعم صريحة ولا لا واضحة، شيء بينهما لم يجرؤ على تسميته.

البيت كان مطلب الأهل. والزواج كان مطلب الأهل. وبقاؤه كان مطلب الأهل.

ومتى كان هو مطلب نفسه؟

قام ومشى نحو المطبخ.

الهواء كان بارداً والبلاط يصرّ تحت قدميه بصوت خافت. وقف أمام النافذة يحضّر القهوة بحركات آلية يعرفها عن ظهر قلب — الماء، والبن، والنار الخفيفة. في الخارج كانت السماء لا تزال مترددة بين الليل والفجر، ذلك اللون الذي لا اسم له تماماً، لا أسود ولا أزرق، شيء بينهما لم يقرّر بعد.

شرب واقفاً.

فكّر في أبيه. كان أبوه يقول دائماً: "الرجل يصبر." يقولها بالطريقة التي يقول بها الناس هنا أشياء كثيرة — كأنّها حقيقة منزّلة لا تحتاج نقاشاً. صبر أبوه على النكبة وعلى المخيّم وعلى الفقر وعلى كلّ شيء. وفي آخر أيّامه كان يجلس على كرسيّه ويحدّق في الحائط بعينين لا تريان.

هل كان ذلك صبراً؟

أم كان شيئاً آخر أقسى من الصبر — كان استسلاماً سمّاه الناس فضيلة لأنّ ذلك كان أريح لهم؟

وضع الفنجان في الحوض وغسله. عادة قديمة علّمته إياها أمّه: "اترك المكان نظيفاً." كأنّ النظافة اعتذار. كأنّها طريقة لتقول: كنت هنا، ولم أكن عبئاً.

عاد إلى الممر وتوقّف أمام الصور المعلّقة على الجدار.

عرسهم — وهو يبتسم بتلك الابتسامة التي لا يتعرّف عليها الآن. ورامي حين وُلد وحمله لأوّل مرة وأحسّ بشيء يشبه الدوار، شيء لم يكن محبّة للمرأة التي وضعته بل كان ذعراً حلواً من هذا الكائن الصغير الذي صار جزءاً من العالم بسببه. وصورة من صيف بعيد حين ابتسما معاً ابتسامة تبدو حقيقية — ويتساءل أحياناً هل كانت حقيقية أم أنّ الكاميرا تكذب بلطف.

نظر إلى الصور طويلاً.

لم يكره سميرة. هذا ما كان يعذّبه أكثر من أيّ شيء. لو كان يكرهها لكانت المسألة أسهل — الكره يُعطيك حجّة، يُعطيك وقوداً للمغادرة. لكنّه لم يكرهها. فقط لم يعد يعرف من هو بجانبها. فقط كان يشعر، حين يجلسان في الغرفة معاً، بوحدة أشدّ وطأة من وحدة الجلوس منفرداً. وهذا النوع من الوحدة — الوحدة وسط الناس — هو النوع الذي يأكل الإنسان من الداخل دون أن يترك أثراً على السطح.

حاولا. أو ظنّا أنّهما حاولا.

كانت هناك ليالي تكلّما فيها حتى الفجر، وكانت هناك لحظات حين وضعت يدها على كتفه وأحسّ بثقلها لا بدفئها، وكانت هناك أيّام هدأت فيها العاصفة وظنّا أنّها انتهت ثم عادت بعد أسبوع كأنّها لم تغادر. ليست عاصفة صاخبة — بل ذلك النوع الصامت من البرود الذي يتسرّب تحت الأبواب ويملأ الغرفة دون أن يكسر شيئاً.

مشكلتهما لم تكن في ما قيل. كانت في ما لم يُقَل أبداً.

ذهب إلى المكتب. أخرج الحقيبة.

كانت هناك منذ سنين — رتّبها في صمت، في ساعات كان فيها وحيداً في البيت، بالهدوء الذي يرتّب به الرجل أوراقه حين يكون قد وصل إلى نهاية تفكيره.

رفعها. خفيفة. أخفّ ممّا توقّع.

ثمانية وعشرون سنة في هذا البيت، وخرج منها بحقيبة يرفعها بيد واحدة. فكّر أنّ الإنسان يُراكم طوال عمره ويظنّ أنّه يبني، ثم يأتي صباح كهذا فيكتشف أنّه كان يحمل فقط.

وقف أمام الباب الخارجي.

يده على المقبض كانت ثابتة — وهذا الثبات فاجأه. طوال الأسابيع الماضية كان يظنّ أنّه سيرتجف في هذه اللحظة، أن يده ستخذله كما خذله قلبه مرّات. لكنّ اليد كانت ثابتة.

ثمّ — وهو لا يعرف من أين جاءت — سمع في رأسه صوت أمّه: "عيب! شو رح يقولوا الناس."

الناس. دائماً الناس. كأنّ الناس هم من يعيشون هذا الفراغ الذي يملأ صدره كلّ صباح. كأنّ الناس هم من ينامون ببطنهم إلى الجدار لا لأنّهم يريدون، بل لأنّ الظهر المقابل صار أجنبياً. كأنّ الناس هم من يمشون في هذا البيت كأشباح تسكن نفس الجدران ولا تلتقي.

يا أمّي، الناس لا يعيشون عوضاً عنّي.

وأبوه: "الرجل يصبر."

صبرت يا أبي. صبرت حتى نسيت طعم عدم الصبر. صبرت حتى ظننت أنّ هذا الضيق هو الطبيعي، وأنّ كلّ البيوت هكذا، وأنّ السعادة التي يتكلّم عنها الناس هي وهم يخترعه الشعراء. ثم رأيت ذات يوم صديقاً يضحك مع زوجته ضحكة صغيرة على لا شيء — ضحكة لا سبب لها إلا أنّهما معاً — فأدركت أنّ ما ينقصني ليس السعادة الكبيرة. ما ينقصني تلك الضحكة الصغيرة على لا شيء.

فتح الباب.

الهواء الخارجي ضربه — هواء الفجر البارد الذي يشبه بداية كلّ شيء ونهايته في آنٍ واحد.

شهق قليلاً كمن خرج من تحت الماء بعد وقت طويل.

الشارع كان فارغاً وهادئاً وغير مبالٍ به تماماً. لا أحد ينتظره. لا أحد يسأله. لا صوت يحاسبه. فقط الشارع وضوء الفجر الذي يكبر ببطء وهواء لم يتنفّسه من قبل.

خطا خطوته الأولى.

عند منعطف الشارع، توقّف لثانية.

لم يلتفت إلى البيت. لكنّه رفع بصره إلى السماء — تلك السماء الفلسطينية التي تبدو في الفجر أقرب من أي وقت آخر، كأنّ ما بينها وبين الأرض ينكمش في هذه الساعة حتى تكاد تلمسها.

أبوه عاش تحت هذه السماء ومات. وجدّه قبله جاء من أرض أخرى يحملها في صدره كجرح لا يُسمّى. وهو — وُلد هنا ونما هنا ومشى على هذا التراب — لكنّه أحسّ طوال عمره أنّ جزءاً منه كان في مكان آخر لم يصله بعد.

ربّما ذلك المكان لم يكن جغرافيا.

ربّما كان هو نفسه — ياسر الذي لم يُعطِ نفسه يوماً إذناً أن يكون.

أكمل المشي.

الفجر كان يكبر والسماء تتحوّل من ذلك اللون الذي لا اسم له إلى لون يشبه الوعد — ليس وعداً بشيء محدد، فقط ذلك الضوء الذي يقول: ثمّة يوم آخر، وأنت فيه.

رفع الحقيبة على كتفه.

ومشى. لم يكن يعرف إلى أين بالضبط. لكنّه كان يعرف — لأوّل مرّة منذ سنوات — أنّه يمشي نحو نفسه. والباب الذي خلفه لم يكن باباً أغلقه. كان باباً فتحه.

الكاتب: سمير الخطيب

الكاتب: محمد جهاد النجار

"الباب الاخير"

تدري حينما يتم وضعك في حقلٍ ممغنط ؟

هو قوّة غير مرئية، ذات قطبين؛ لكن المرئيّ في المشهد هو برادة الحديد التي تنجذب إمّا إلى قطبه السالب أو إلى قطبه الموجب.

تدري ما المشكلة ؟

لا يوجد في هذا الحقل سواك... أنت وأفكارك.

وبطبيعة الحال، نضع خياراتنا في خانة الثنائيات؛ نقلّص الاحتمالات، لكن يبقى النزاع قائمًا بين فكرتين، ويبقى هناك قطبان، ولا تدري أيّهما السالب وأيّهما الموجب، فتعتليك الحيرة، وتُلقى على بصرك غشاوة.

أنت، يا سيّدي، في صحراء:

إمّا أن يكون ما تراه ماءً وزرعًا، فتستريح وتنعم بخيره،

وإمّا أن يكون سرابًا، فتظلّ تركض خلفه، حتى تعبره...

وحينها، تصل إلى نقطة اللاعودة.

لكنّ المؤلم...

أنّ المشاهد لا يرى صراعاتك؛

هو فقط يرى برادة الحديد إلى أين ستذهب، تعنيه النتائج، ويعيّن لك الطريق.

أمّا أنت،

ففي المنتصف، بطبيعة الحال،

في قلب حربٍ شعواء تستنزف فكرك، تعبث بداخلك، تهدمك وتبنيك في آنٍ واحد، حتى تغدو في نهاية الأمر مشاعر مضطربة.

أن تكون بين فكرتين...

خسائرهما متشابهة للوهلة الأولى.

والمشكلة الأكبر أنّك لا تستطيع، مهما فعلت، أن تؤجّل صراعاتك؛ فهي لا تأتي إلا في الفترات الحرجة، حيث يمثّل القرار نقطة فاصلة.

فهذه القرارات لا تقبل الحلول الوسط:

إمّا أن تجعلك منتصرًا فائزًا،

أو مهزومًا خاسرًا.

والتوفيق من الله وحده، صاحب الفضل والمنّة.

وقد وردت أمثلة كثيرة في تراثنا الإسلامي عن تلك اللحظات الحاسمة، التي يقف فيها الإنسان أمام خيارٍ أخير، يحمل في نهايته بدايةً لحياة جديدة.

وقد يكون هذا الخيار سببًا في أن يرفعه الله إلى الجنّة، أو يهوي به في سعيرٍ أُضرِم.

هكذا هي الخيارات المصيرية...

قد تحمل في طيّاتها سعادةً أبدية، أو تعاسةً خالدة.

القارئ الكريم، لكم أنت عزيزٌ عليّ؛ فلن أُرهق تفكيرك، ولن أتعبك في قراءة تجاربي. فلن أُحدّثك عن لحظاتي المفصلية، ولا عن قراراتي، فأريد لك أن ترى تلك التجارب الصحيحة التي حملت في نهايتها نتائج معروفة، ولعلّها تجارب إفادة، لعلّها على سبيل اليقين لا الترجي.

تلك التجارب حملت في طيّاتها قراراتٍ مصيرية، وتحوّلاتٍ جذرية، وحملت قبل النقطة الحرجة تقلّباتٍ وتقلّبات، إلى أن عبرت الباب الأخير، ووقفت أمام قراراتٍ حاسمة. وصلتُ إلى النهاية، لكن: هل فُتح الباب وعبرت؟ أم ظلّ الباب مُغلقًا؟

الكاتب: محمد جهاد النجار

الكاتبة: ماري الريني

"الباب الاخير"

لم يكن الباب الأخير مجرد خشبٍ مصقولٍ بلونٍ داكن...

كان شيئًا يشبهني أكثر مما يشبه أيّ بابٍ عرفته في حياتي.

وقفتُ أمامه طويلًا،

لا لأنني كنت أجهل ما خلفه،

بل لأنني كنت أعرف...

وأخشى أن يكون ما أعرفه هو الحقيقة.

في حياتي، مررتُ بأبوابٍ كثيرة—

أبوابٍ فُتحت بسهولةٍ كأنها كانت تنتظرني،

وأخرى كسرتُها بيدي حين لم يكن لديّ مفتاح.

لكن هذا الباب...

لم يُفتح، ولم يُكسر،

بل ظلّ هناك... ينتظر قراري فقط.

والمشكلة لم تكن في الباب،

بل في ما سيبقى مني إن فتحته.

يقولون إن النهايات تأتي فجأة،

لكنهم يكذبون.

النهايات لا تأتي،

بل تتراكم...

قطرةً بعد قطرة،

خذلانًا بعد خذلان،

حتى تمتلئ الروح،

ثم... تفيض.

وهذا الباب،

لم يكن بداية النهاية،

بل نهاية كل النهايات التي تأخرتُ في الاعتراف بها.

كنتُ أعرف أنني إن دخلت،

لن أعود الشخص الذي كنتُه.

لن أعود تلك التي تنتظر،

ولا تلك التي تغفر،

ولا تلك التي تعطي أكثر مما تأخذ.

كنتُ سأخرج...

كشخصٍ لا يعرف الرحمة تجاه نفسه القديمة.

تذكّرتُ كل الأبواب التي أغلقتها قبله...

باب الطفولة،

حين فهمتُ أن العالم لا يحمي أحدًا.

باب الحب الأول،

حين أدركتُ أن بعض القلوب لا تُحب... بل تستهلك.

باب الصبر،

حين تعبتُ من الانتظار دون وعدٍ حقيقي.

كل بابٍ أغلقته،

كان يترك داخلي فراغًا،

لكن هذا الباب...

كان سيترك داخلي فراغًا بحجم الحياة كلها.

مددتُ يدي... ثم سحبتها.

ليس خوفًا،

بل احترامًا للحظة.

فبعض القرارات،

لا تُؤخذ بعجلة،

حتى لو كانت متأخرة.

أغمضتُ عينيّ،

وسألتُ نفسي السؤال الذي هربتُ منه طويلًا:

"هل أنا مستعدة لأن أخسر كل شيء... مقابل أن أجد نفسي؟"

وكان الصمت...

إجابة.

في تلك اللحظة،

لم أعد أفكر في ما سأفقده،

بل في ما فقدتُه أصلًا وأنا أؤجل هذا القرار.

كم مرة خذلتُ نفسي؟

كم مرة بقيتُ في مكانٍ لا يشبهني... فقط لأنني خفتُ من المجهول؟

كم مرة اخترتُ الآخرين...

وتركتُ نفسي تنتظر؟

هذا الباب...

لم يكن نهاية علاقة،

ولا نهاية مرحلة،

بل نهاية نسخةٍ مني...

لم تعد تصلح للعيش.

فتحتُ الباب.

لم يكن هناك ضوءٌ ساطع كما تخيّلت،

ولا ظلامٌ دامس كما خفت،

كان هناك...

فراغ.

لكن ليس فراغًا مخيفًا،

بل فراغًا نقيًا،

كصفحةٍ لم تُكتب بعد.

خطوتُ خطوة،

وشعرتُ بشيءٍ يسقط خلفي.

لم ألتفت.

لأنني كنتُ أعرف...

أنه أنا.

النسخة التي كانت تنتظر الاعتذار،

التي كانت تبكي في الخفاء،

التي كانت تبرر الألم...

وكأنه حقٌّ طبيعي.

تركتها هناك،

وأغلقتُ الباب.

في الداخل،

لم أكن أقوى...

لكنني كنتُ أصدق.

لم أكن سعيدة...

لكنني كنتُ حقيقية.

وهذا،

كان كافيًا.

الباب الأخير لا يُغلق خلفك فقط،

بل يُغلق داخلك أيضًا.

يُغلق التردد،

والخوف،

والحنين الذي لا يستحق.

ويفتح...

مساحةً لا تعرف فيها من أنت تمامًا،

لكنها تعرف... أنك أخيرًا لست الشخص الخطأ في حياتك.

اليوم،

حين يسألني أحدهم عن أصعب قرارٍ اتخذته،

لا أقول إنني فتحتُ الباب الأخير...

بل أقول:

"أنا... أخيرًا لم أعد أطرق الأبواب التي لا تُفتح."

الكاتبة: ماري الزيني

"الباب الاخير"

النص الأول

حين يصبح الرحيل شكلًا من أشكال الاعتراف

لم يكن الباب الأخير بابًا بالمعنى الذي يعرفه الناس.

لم يكن خشبًا ولا مقبضًا ولا عتبةً تفصل بين مكانين.

كان لحظةً نادرة يقف فيها الإنسان عاريًا أمام نفسه، لا حجج، بلا شهود، بلا قدرة على الكذب.

كان السؤال الذي ظللت أهرب منه أعوامًا طويلة، حتى ضاقت بي الطرق كلها، ولم يبقَ سوى أن أجيب.

وقفتُ أمامه كما يقف من أدرك أخيرًا أن أكثر المعارك قسوة ليست تلك التي خاضها مع الآخرين، بل تلك التي أخّرها طويلًا مع ذاته.

خلفي عمرٌ كامل من المحاولات الناقصة.

وجوهٌ أحببتها حتى استنزفتني.

أحلامٌ دفنتها بيدي ثم بكيت فوق قبورها كأن أحدًا غيري قتلها.

طرقٌ أطلتُ الوقوف عند مفترقاتها حتى فقدتُ القدرة على الاختيار.

ونسخٌ كثيرة مني، كانت تموت بصمت كلما اخترتُ ما يُرضي الآخرين على ما يُنقذني.

كنت أظن أن النجاة تحتاج شجاعة.

ثم اكتشفت أن أصعب أنواع الشجاعة هو أن تعترف أنك بقيت طويلًا في المكان الخطأ.

أن تنظر إلى حياتك بعينٍ صادقة، وتقول دون تجميل: لقد تعبت. لقد استنزفتني هذه النسخة من نفسي. لقد آن أوان الرحيل.

مددتُ يدي نحو الباب.

لا لأفتحه.

بل لأتأكد أنني ما زلت أملك حق القرار.

لكنني حين لمسته، أدركت أن القرار اتُّخذ منذ زمن بعيد.

كل خيبةٍ عشتها كانت تدفعني نحوه.

كل ليلةٍ نمتُ فيها وأنا أشعر أنني غريب عن نفسي كانت تقرّبني منه خطوة.

كل مرةٍ ابتلعتُ فيها ألمي كي أبدو بخير، كانت تصنع هذا الباب بصمت.

لم يكن الباب ينتظرني.

أنا الذي كنت أصل إليه ببطء، دون أن أجرؤ على الاعتراف.

وضعتُ أذني عليه.

لم أسمع شيئًا.

لا وعدًا بالخلاص.

لا صوتًا يطمئنني.

لا معجزة.

وكان ذلك أكثر ما طمأنني.

فالأشياء الصادقة لا تُغريك، ولا تعدك بشيء.

إنها فقط تتركك أمام الحقيقة كما هي.

خلفي حياةٌ أعرف مقدار ما أخذته مني.

وأمامي مجهولٌ لا يمنحني أي ضمان.

لكن للمرة الأولى بدا المجهول أقل قسوة من المألوف.

ابتسمتُ.

لا لأنني سعيد.

بل لأنني توقفت أخيرًا عن التفاوض مع ما يؤذيني.

ثم دفعتُ الباب.

لم تسقط السماء.

لم تتبدل الأرض.

لم يحدث ما يشبه المعجزات.

الشيء الوحيد الذي حدث أنني لم أعد الشخص نفسه.

اختفى ذلك الإنسان الذي كان يعيش ليُرضي الجميع إلا نفسه.

وسقط ذلك الصوت الذي كان يقنعني أن الاحتمال فضيلة.

وانطفأت الحاجة القديمة إلى العودة.

لم يكن ما حدث موتًا.

كان تحررًا هادئًا من هويةٍ ضاقت بي حتى كدت أختنق داخلها.

هناك، بين ما فقدتُه وما لم أصل إليه بعد، فهمتُ أخيرًا أن الباب الأخير لا يمنحك حياةً جديدة.

إنه فقط يجرّدك من حياتك القديمة.

ومن هذا التجرّد المؤلم...

تولد للمرة الأولى.

الباب الثاني

الجريمة الوحيدة التي لا يُعاقَب عليها أحد

لم أصل إلى الباب الأخير وحدي.

حين وقفتُ أمامه، أدركت أن أحدًا كان يقف خلفي طوال هذه السنوات.

التفتُّ فرأيتني.

لا كما أنا الآن، بل كما كنتُ يوم كنتُ أؤمن أن الاحتمال يكفي، وأن الصبر قادر على ترميم كل ما يتصدع، وأن القلب إذا أحبّ بما يكفي فإنه يستطيع أن يُقنع الأشياء بالبقاء.

كانت النسخة التي عاشت بدلًا مني.

النسخة التي أتقنت فنّ الاحتمال حتى ظنّت أن النزيف نوعٌ من الوفاء.

نظرت إليّ بعينين أعرفهما جيدًا.

عينان أنهكهما الانتظار، لكنهما ما زالتا تتشبثان بوهمٍ قديم.

قالت بصوتٍ يشبه صوتي حين كنتُ أكثر سذاجة:

"إذا فتحتَ هذا الباب... فلن أعود."

لم يكن في صوتها تهديد.

ولا رجاء.

كان يقينًا خافتًا يشبه اعترافًا أخيرًا من شخص يعرف أن زمنه انتهى.

تأملتُها طويلًا.

رأيتُ فيها أعذاري كلها.

رأيتُ الطفل الذي كان يعتذر عن أخطاء لم يرتكبها.

ورأيتُ الشاب الذي كان يظن أن الصمت يحمي ما يحب.

ورأيتُ المرأة التي كانت تؤجل انهيارها كي لا تزعج أحدًا.

رأيتُ كل النسخ التي ظنّت أن التضحية المستمرة ستقودها يومًا إلى الطمأنينة.

لكنها لم تصل إلا إلى التعب.

قالت لي مرة أخرى:

"ابقَ."

وكانت تلك الكلمة أثقل من كل الكلمات التي سمعتها في حياتي.

لأن البقاء لم يعد يعني الأمان.

كان يعني أن أواصل العيش في غرفةٍ ضاقت بروحي، وأن أتنفس هواءً لم يعد يكفيني، وأن أمدّ عمري داخل حياة انتهت بينما كنتُ أصرّ على تسميتها بداية.

اقتربتُ من الباب.

فارتجفت.

لا خوفًا عليّ.

بل خوفًا منها.

كانت تعرف أنني إن عبرت، فلن يبقى منها شيء.

فهذا الباب لا يقتل الجسد.

إنه يسحب الشرعية من كل نسخةٍ لم تعد قادرة على تمثيلك.

مددتُ يدي.

وفي اللحظة التي لامستُ فيها الباب، سمعتُ صرخةً مكتومة.

لم تكن صرختها.

كانت صرخة الأجزاء التي عاشت داخلي زمنًا طويلًا، رغم أنها لم تكن أنا.

الأفكار التي ورثتُها عن الخوف.

العادات التي أقنعتني أن الاحتمال فضيلة.

الذكريات التي كانت تستمد قوتها من ترددي.

كل ذلك بدأ يتداعى دفعة واحدة.

كمدينةٍ شُيّدت فوق وهم، ثم انهارت حين قيلت الحقيقة أخيرًا.

دفعتُ الباب ببطء.

ولم ألتفت.

ليس لأنني كنتُ قويًا.

بل لأنني أدركت أن بعض الأشياء لا تحتاج إلى وداع.

يكفي أن تتوقف عن حملها.

حين عبرتُ، لم أجد نورًا كما تخيّلت.

ولم أجد ظلامًا كما خشيت.

وجدتُ مساحةً هادئة لا تطلب مني أن أشرح نفسي لأحد.

مكانًا لا يحتاج مني أن أعتذر عن نجاتي.

التفتُّ أخيرًا.

لم أرَ أحدًا.

لا تلك النسخة القديمة.

ولا الشخص الذي كنتُ أخشى أن أفقده.

أدركتُ عندها حقيقةً موجعة:

لم أقتل شيئًا في تلك اللحظة.

أنا فقط توقفتُ عن إحياء ما كان يجب أن يموت منذ زمن.

وهكذا فهمتُ أن أقسى الأبواب ليست تلك التي تُخرجنا من الأماكن،

بل تلك التي تُخرج الأماكن من داخلنا.

الباب الثالث

حين يبتلعك ما ظننته خارجك

لم أصل إلى الباب الأخير.

العبارة الأدقّ أنني كنت أبتعد عن كل شيء، بينما كان هو يقترب مني بصمتٍ لا يخطئ طريقه.

لم يكن يظهر في هيئة باب، بل في ذلك الشعور الخفيّ بأن حياتي تُدار من مكانٍ لا أسكنه حقًا.

كنت أراه في اللحظة التي أنتهي فيها من الحديث مع الآخرين، ثم أعود إليّ فأجدني غريبًا عن الصوت الذي خرج مني.

أراه في المرآة حين يبدو وجهي مألوفًا، لكنّ نظرتي لا تتعرّف إلى صاحبها.

أراه في اتساع الليل، عندما يسقط عن الأشياء معناها المؤقت، وتبقى الحقيقة وحدها جالسةً إلى جواري.

كنت أظن أن الإنسان يتعب من كثرة ما يمرّ به.

ثم فهمت أن التعب الحقيقي هو أن تعيش طويلًا بعيدًا عن مركزك، حتى تصبح حياتك سلسلةً متقنة من الأدوار، بينما جوهرك يقف في الظلّ ينتظر أن تلتفت إليه.

هذا الباب لم يتكوّن في الخارج.

تشكّل في داخلي ببطءٍ جيولوجي.

طبقةً من الصمت فوق طبقةٍ من الخيبة.

طبقةً من التنازلات فوق طبقةٍ من الإنكار.

طبقةً من النجاة المؤقتة فوق طبقةٍ من الفقد غير المعترف به.

حتى صار في صدري مكانٌ مغلق، لا يفتح على العالم، بل يفتح على الحقيقة التي أمضيت سنواتٍ في تأجيلها.

وفي ليلةٍ لم يحدث فيها شيء استثنائي، حدث كل شيء.

وجدته أمامي.

لا بوصفه مفاجأة، بل بوصفه الشيء الوحيد الذي كان صادقًا بما يكفي ليبقى.

لم يكن له مقبض.

كأن الدخول إليه لا يحتاج إلى يد، بل إلى انهيار.

وضعتُ كفّي عليه.

فشعرت بحرارةٍ لا تشبه حرارة الأشياء، بل حرارة الذكريات حين تخرج من مواضع دفنها.

كأن الباب كان مصنوعًا منّي:

من الكلمات التي ابتلعتها.

من الدموع التي رفضتُ منحها حق السقوط.

من الوداعات التي لم أقلها لأنني كنت أخشى أن تصبح نهائية.

من النسخ التي لبستها حتى التصقت بجلدي، ثم نسيتُ أن لي وجهًا تحتها.

عندها أدركت أنني لم أكن أخاف ما وراء الباب.

كنت أخاف ما سيُسقطه عنّي.

فالإنسان لا يرتعب من المجهول بقدر ما يرتعب من أن يُنتزع منه تفسيره القديم لنفسه.

تراجعتُ خطوة.

لا هربًا.

بل حدادًا أخيرًا على الشخص الذي كنتُ أظن أنني سأبقى عليه إلى الأبد.

ثم أغمضتُ عينيّ.

وللمرة الأولى لم أطلب نجاةً، ولا علامةً، ولا وعدًا بأن ما بعد هذه اللحظة سيكون أقل ألمًا.

طلبتُ فقط أن أحتمل الحقيقة كاملة.

دفعتُ الباب.

ولم ينفتح.

بل انفرج شيءٌ في داخلي.

شيءٌ كان مشدودًا منذ سنوات حتى ظننتُ أن التوتر جزءٌ من طبيعتي.

شعرتُ بأن هويتي تتشقق بصمت.

كما تتشقق القشرة حول بذرةٍ ظنّت طويلًا أن انكسارها هو نهايتها، بينما كان ذلك هو الشرط الوحيد لكي تبدأ.

لم أرَ نورًا.

ولم أهبط إلى ظلام.

رأيت فراغًا نقيًّا من كل ما كنت أستخدمه لتعريف نفسي.

لا أسماء.

لا أدوار.

لا علاقات أتخفّى داخلها.

لا ماضٍ أستند إليه كي أتجنب السؤال الأهم: من أكون إذا سقط كل ما اعتدتُ أن أسمّيه "أنا"؟

وفي ذلك الفراغ، لم أشعر بالضياع.

شعرتُ بخفةٍ موجعة.

الخفة التي تلي فقدان كل ما كان يمنحك وزنًا، حتى لو كان ذلك الوزن هو ما كان يغرقك.

حين حاولتُ أن أعود، لم أجد الباب.

وحين بحثتُ عن نفسي القديمة، لم أجد سوى أثرٍ بعيد، يشبه كتابةً مُسحت وبقي انطباعها الخافت على الورق.

عندها فهمت أن بعض الأبواب لا ننتهي من عبورها.

هي تعبرنا نحن.

تعبر أوهامنا، وأسمائنا، وحكاياتنا التي تشبثنا بها حتى حسبناها هويتنا.

ثم تتركنا في مواجهة الجوهر العاري الذي لا يستطيع أن يختبئ بعد الآن.

ومنذ تلك اللحظة، لم أعد أعرف إن كنتُ أنا الذي فتحتُ الباب،

أم أن الحقيقة، بعد طول انتظار،

فتحتني.

الباب الرابع

رسالة إلى المرأة التي ستولد من رمادي

إلى التي ستقرأ هذه الكلمات بعد أن ينطفئ صوتي داخلك،

إلى المرأة التي ستنهض من هذا الركام وتحمل اسمي، لكنّها لن تكونني تمامًا،

أكتب إليك من الحافة الأخيرة بين وجودين: وجودٍ استنفد كل ما فيه من احتمالات، ووجودٍ لم يتشكّل بعد، لكنه بدأ يطالب بحقه في الولادة.

لا أعرف إن كان يحقّ لي أن أخاطبك.

فحين تصلك هذه الرسالة، قد أكون قد تلاشيْتُ إلى الحدّ الذي يجعلني مجرّد أثرٍ لغوي في ذاكرتك.

وقد أكون بقيتُ فيك، كندبةٍ لا تؤلم، لكنها لا تختفي.

أكتب إليك وأنا أقف أمام الباب الأخير.

لا أحمل يقينًا.

لا أملك وعدًا.

ولا أعرف إن كان ما ينتظرك خلاصًا أم صورةً أخرى من التيه، لكنني أعرف يقينًا واحدًا:

أن البقاء صار خيانةً لما تبقّى منّا.

أنا متعبة.

لكن ليس ذلك التعب الذي يزول بالنوم أو بالصمت أو ببضع دموع مؤجلة.

إنه تعب الكائن الذي قضى عمره يرمّم ما يتداعى، حتى اكتشف متأخرًا أنه كان يرمّم قفصه.

تعب من عاش طويلًا وهو يعتذر عن احتياجاته، ويؤجّل حقيقته، ويستنزف روحه كي يبدو ثابتًا أمام الآخرين.

خلفي تاريخٌ كامل من الأسماء والوجوه والوعود.

أشياء ظننتُ يومًا أنها ستمنحني معنى.

ثم اكتشفت أنها كانت تستهلك المعنى الذي أحمله أصلًا.

أشخاص أحببتهم حتى كدت أفقد نفسي فيهم.

أحلام أخّرتها حتى نسيت ملامحها.

وخسارات لم أحزن عليها كما يجب، فبقيت حيّةً في داخلي، تتغذّى على ما تبقّى مني.

وأمامك فراغ.

أعرف أن كلمة "فراغ" تبدو مخيفة.

لكنني تعبت من الامتلاء بكل ما لا يشبهني.

وربما يكون الفراغ أرحم من حياةٍ مزدحمة بما لا ينتمي إلينا.

إذا وصلتِ إلى هذه الرسالة، فلا تحاولي أن تنقذيني.

لقد تأخر الوقت على الإنقاذ.

كل ما أرجوه أن تفهمي أنني لم أرحل لأنني ضعفت.

رحلت لأنني قاومت بما يكفي.

ولا تحاولي أن تكوني نسخةً محسّنة مني.

النسخ، مهما بلغت من الإتقان، تبقى ظلًا للأصل.

وأنا لا أريد لك أن تكوني ظلًا لأحد، حتى لو كان ذلك الأحد أنا.

كوني قطيعةً كاملة.

كوني الجرأة التي كنتُ أؤجلها.

كوني اللغة التي لا تعتذر عن صدقها.

كوني اليد التي لا ترتجف حين تغلق ما يجب أن يُغلق.

بعد قليل سأفتح الباب.

لا لأنني مطمئنة.

بل لأنني وصلتُ إلى النقطة التي يصبح فيها المجهول أقل رعبًا من الاستمرار في إنكار الحقيقة.

إن نجوتِ من هذا العبور، فلا تبحثي عني كثيرًا.

ستجدينني في بعض العادات، وفي نبرةٍ حزينة، وفي خوفٍ قديم يظهر أحيانًا دون استئذان.

لكن لا تسمحي لي أن أستعيد حياتي من خلالك.

أحبّيني بما يكفي لتتركيني أنتهي.

ولا تلتفتي إلى الخلف.

ليس لأن الماضي مؤلم فحسب.

بل لأنك إذا نظرتِ إليه طويلًا، قد تنسين أن وجودك كان ثمرة شجاعةٍ قررت أخيرًا ألا تعود.

أودعك الآن.

لا كمن يسلّمك خسارته.

بل كمن يسلّمك ما تبقّى من الحقيقة.

فإن شعرتِ يومًا بأنك وحيدة، تذكّري أن أثمن الولادات هي تلك التي لا يشهدها أحد.

وإن سألك العالم من أين جئتِ،

فقولي:

جئتُ من امرأةٍ أدركت في اللحظة الأخيرة أن نهايتها لم تكن موتًا،

بل الشجاعة النادرة لأن تفتح الباب،

وتترك نفسها خلفها.

الكاتبة: ماري الزيني

الكاتبة: أميرة سعيد التركي

"الباب الاخير"

لم أكن أظن أن للنهايات صوتًا، حتى سمعتُه.

كان صامتًا من الخارج، لكن داخلي كان يصرخ.

ذلك الباب الذي أقف أمامه الآن لا يشبه الأبواب التي أعرفها، لا لونه مألوف، ولا هيئته توحي بشيء. كأنه صُنع لي وحدي، ليُغلق في وجهي مرة واحدة وإلى الأبد.

ترددتُ.

ليس لأنني لا أريد العبور، بل لأنني أعرف ما خلفه.

هناك دائمًا لحظة لا يعود فيها التراجع خيارًا، لحظة تشعر فيها أن أي خطوة إلى الأمام ستسرق منك نسخة قديمة من نفسك، تلك النسخة التي اعتدتَ عليها حتى لو كانت تُتعبك.

وضعتُ يدي على الجدار بجانبه، كأنني أبحث عن سبب يمنعني.

لكن الجدار كان صامتًا مثله تمامًا.

تذكّرتُ كل ما تركته خلفي دون أن أودّعه:

أشخاصًا، ووعودًا، وأحلامًا كنت أؤجلها بحجة: "ليس الآن".

ضحكتُ بسخرية خفيفة.

كم من "ليس الآن" كانت تعني في الحقيقة: "لن يحدث أبدًا"؟

اقتربتُ أكثر.

كان الباب لا يُشبه النهاية، بل يُشبه السؤال.

ماذا لو فتحتُه ولم أجد نفسي هناك؟

ماذا لو كنتُ أنا الشيء الذي سأخسره عند العبور؟

لكن شيئًا في داخلي كان قد حسم الأمر دون أن أقرر.

لم أعد ذلك الشخص الذي يقف طويلًا عند العتبات.

أمسكتُ المقبض. وفي اللحظة التي انفتح فيها الباب، لم يحدث شيء خارق.

لا نور، لا ظلام، لا صوت وداع.

فقط شعرتُ أن شيئًا خفيفًا جدًا سقط من صدري.

ربما كان الخوف. خطوتُ إلى الداخل.

ثم فهمتُ متأخرًا أن الباب الأخير لا يُغلق خلفك دائمًا ليمنعك من العودة،

بل ليمنحك فرصة أخيرة ألّا تعود كما كنت.

الكاتبة: أميرة سعيد التركي

الكاتبة: ورود نبيل محمد

"الباب الذي لا يعود كما كان"

في حياةِ كلِّ إنسان بابٌ أخير، ليس بالضّرورةِ أن يكون بابًا من خشبٍ أو حديد، بل قد يكونُ شخصًا، مدينةً، فكرةً، أو نسخةً قديمةً من أنفسنا. بابٌ نقفُ أمامه طويلًا، نضعُ أيدينا على المقبض، ثم نتراجع مرارًا لأننا نعلمُ في أعماقنا أنّ العبور هذه المرّة لن يشبه أيَّ عبورٍ سابق، فبعضُ الأبواب حين تُفتح، تُغلق خلفنا إلى الأبد.

أذكر أنني كنتُ أظنُّ دائمًا أنّ النّهايات تأتي بصوتٍ مرتفع؛ بعاصفةٍ هائلة، أو بانهيارٍ كبير، أو بجملةٍ أخيرة تشبهُ ما يحدثُ في الأفلام، لكنني اكتشفتُ لاحقًا أنّ أخطر النّهايات هي تلك التي تحدثُ بصمت، حين تستيقظُ يومًا وتدرك أنّك لم تعد الشّخص نفسه، وأنّ الأشياء التي كانت تُشعل قلبك أصبحت تمرُّ أمامك بلا أثر، وأنّك تتقنُ الابتسام بينما شيءٌ ما في داخلك ينطفئ ببطء.

هناك أبواب لا نغلقها لأننا كرهنا ما خلفها، بل لأننا تعبنا من الوقوف على العتبة، تعبنا من الانتظار، من التردّد، من منح الفرص التي لا تُثمر إلّا مزيدًا من الخيبة، وأقسى ما قد يواجهه الإنسان ليس خسارة الآخرين، بل خسارة نفسه وهو يحاول إبقاء كلّ شيء كما كان.

{الباب الأخير}

كنتُ أعرفُ امرأةً ظلّت سنواتٍ طويلة تحاول إنقاذ علاقةٍ ماتت منذ وقتٍ مبكر، كانت تُرمّم الشّقوق بيديها العاريتين، وتجمعُ فتات الأيام وكأنّها قادرةٌ على إعادة الزّمن إلى الوراء، وفي كلّ مرة كانت تقول: "ربّما غدًا يصبح كلُّ شيء أفضل"، لكنّ الغد كان يأتي دائمًا محمّلًا بالتّعب نفسه، إلى أن جاء ذلك المساء...

جلست وحدها أمام المرآة، وحدّقت طويلًا في وجهها كما لو أنّها تراه لأول مرة، اكتشفت أنّ عينيها لم تعودا تشبهانها، وأنّ ملامحها امتلأت بأشياء لم تكن فيها يومًا؛ الخذلان، الصّبر المُفرط، والانتظار الذي يأكل الرّوح ببطء.

في تلك الليلة لم تبكِ، ولم تصرخ، ولم تكتب رسالةً أخيرة، فقط نهضت بهدوء، أغلقت الباب خلفها، ومشت.

أحيانًا يكون النّجاة فعلًا هادئًا للغاية، الباب الأخير ليس دائمًا نهاية علاقة، قد يكون نهاية خوفٍ قديم، أو وداعًا لصورةٍ صنعها النّاس لنا حتى صدّقناها. كثيرون يعيشون أعمارهم داخل أقفاصٍ لا يرون قضبانها؛ وظيفة لا يحبّونها، صداقات تستنزفهم، حياة اختاروها فقط لأنّ الآخرين قالوا أنّها مناسبة، ثم تأتي لحظةٌ غامضة، صغيرة جدًا، لكنها تغيّر كلّ شيء، لحظة ينهار فيها الصّمت الدّاخلي، ويقول الإنسان لنفسه للمرة الأولى: "لا أريد هذا بعد الآن".

هذه الجملة وحدها قد تكون بابًا كاملًا، لكنّ العبور ليس سهلًا أبدًا؛ فالإنسان لا يخافُ من المجهول بقدر ما يخافُ من خسارة ما اعتاد عليه، حتى الألم يصبح مألوفًا مع الوقت، والمألوف دائمًا يبدو أكثر أمانًا من الاحتمالات الجديدة، لذلك يبقى البعض واقفًا عند الأبواب المغلقة سنواتٍ طويلة، لا يدخل ولا يرحل، فقط يستهلك عمره في التّحديق.

ثمة أشخاص يولدون مرتين؛ مرة حين يأتون إلى الحياة، ومرة حين يقررون أخيرًا أن يعيشوا كما يريدون، وأعتقد أنّ الولادة الثانية أكثر وجعًا؛ لأنها تتطلب شجاعةً قاسية: أن تواجه نفسك بلا أعذار، أن تعترف بأنّ بعض الطّرق لم تعد تشبهك، وأنّ بعض الأحلام انتهت صلاحيتها، وأنّ بعض البشر مهما أحببتهم لن يستطيعوا السّير معك إلى النّهاية.

في كلّ عبورٍ حقيقي هناك خسارة ما، لا يمكن للإنسان أن يصبح نسخةً جديدة من نفسه دون أن يدفن شيئًا قديمًا داخله، ولهذا تبدو التّحوّلات مؤلمة؛ فنحن لا نغيّر حياتنا فقط، بل نغيّر جلد أرواحنا أيضًا.

أتأمل أحيانًا كيف يسبق الرّحيل الحقيقي لحظةٌ غريبة من السّكون، كأنّ القلب قبل أن يغادر يطفئ الضّجيج داخله، وكأنّ الرّوح ترتّب حقائبها بصمت ثم تمضي دون ضوضاء، ولهذا لا نفهم كثيرًا من النّهايات إلا بعد حدوثها بوقتٍ طويل.

نظنّ أنّ الباب الأخير يعني الفقد، لكنّه أحيانًا يكون أوّل شكلٍ من أشكال النّجاة.

كم من إنسانٍ ظنّ أنّ النّهاية ستقتله، ثم اكتشف بعد سنوات أنّها الشيء الوحيد الذي أنقذه؟ كم من بابٍ بكى أمامه طويلًا، ثم شكر الله لاحقًا لأنّه أُغلق؟

الحياة لا تأخذ منا الأشياء عبثًا، لكنّها في كثير من الأحيان تنتزع ما لم نملك شجاعة تركه.

أعرفُ الآن أنّ الأبواب الأخيرة لا تأتي دائمًا لتُنهي الحكايات، بل لتعيد كتابة أصحابها؛ فالإنسان بعد بعض النّهايات لا يعود كما كان أبدًا، شيءٌ ما يتبدّل في نبرة صوته، في طريقته بالنّظر إلى العالم، في قدرته على الاحتمال، وحتى في نوع الصّمت الذي يسكنه.

وفي النّهاية، لن نتذكّر عدد المرّات التي بقينا فيها خائفين، بل المرّة التي امتلكنا فيها الشّجاعة الكافية لنُدير المقبض، ونعبر رغم ارتجاف قلوبنا.

فكلُّ بابٍ أخير، هو في مكانٍ ما، البداية الأولى لشخصٍ جديد.

الكاتبة: وروود نبيل محمد

الكاتبة: حنان رمضان

"أصعب قرار"

اليوم، أكتب بعد كل ما حدث معي ومع من حولي، لطالما قالت لي أمي إن في حياة كل منا مفترق طرق أو نقطة تحوّل، أو باب لمحطة أخيرة وقرار يجب أن نتخذه ونحتمل عواقبه. كنتُ أنا ممن وضعتهم الحياة أمام هذا الموقف مرارًا، وها أنا اليوم أروي قصة آخر باب وقفت عنده، وكيف كان يجب عليّ الاختيار بين أمرين، وإن كان الأمران أحيانًا يضعانك أمام متناقضين أو خيارين أحلاهما مرّ، لكنك مجبر، مرغم، فلا مفر من هذا القرار إلا إليه. أُجبرتُ على اتخاذ قرار، مع معرفتي أنه سيكون مؤلمًا لي؛ فقد أحببتُ سيدة عرفتُها ذات يوم مصادفة، بعد أن سمعتها تتحدث إلى إحدى صديقاتها في الهاتف باكية أنها لم تحبّني يومًا. صُعقتُ وصُدمت، فأنا أحبها، ولكنني لم أعلم أنها تزوجتني رغماً عنها، جرحت هذه الحقيقة الصادمة مشاعري، وجرحت كبريائي كرجل عندما علمت أن أهلها أجبرُوها على الزواج مني لأني ميسور الحال، بينما رفضوا الشاب الذي أحبته وأرادته زوجًا لأنه فقير. بعدما سمعتُ لم أفتح فمي، استدرتُ بهدوء، ورحتُ أمشي في شوارع المدينة وأزقتها، وتجاذبتني الأفكار؛ فأنا الآن أمام خيارين. وفي لحظات بدأت الأفكار الشيطانية: "أنت رجل، لا بد أن تنتقم"، وتردد صدى هذه الجملة ثانية وثالثة ورابعة...

لكن قطع أصداء هذه الأصوات همسٌ داخل نفسي وروحي يقول: "امرأة لا تريدك، إن كنت تحبها فاتركها تذهب... اتركها تذهب وتعيش سعيدة."

بقيتُ أنتقل من شارع إلى آخر حتى حلّ الظلام على مدينتنا، وعدتُ ومعي قرار بأن أتركها لتعيش الحياة التي تحب أن تعيشها. دخلتُ، جلستُ في غرفتي المعتمة، عتمة تشبه عتمة قلبي. رأتني أحمل هموماً تحدث بها عيني، وقفت عند الباب، تأملتُ عيناها ملامحي التي كانت بالكاد ترى، أشعلت الإضاءة وقالت بدهشة ممزوجة بالخوف: "أتبكي؟"

فحاولتُ أن أستدرك الموقف وقلت: "لا، أعاني من حساسية في عيني، اجلسي."

جلست أمامي وقالت: "ما بك؟ لم تسأل عني أو تكلمني منذ مجيئك كما جرت العادة."

قلت: "أريد أن أتحدث معك، وأتمنى أن تصارحيني بالحقيقة."

ازدادت الدهشة على ملامح وجهها وقالت: "لا أعلم ما بك، لكن قل."

قلت: "صحيح أنك تزوجتِني بالإكراه؟ لم تكوني تريدينني؟"

دهشت، وأسكتت المفاجأة صوتها، واحمرّ وجهها، وقطع صمتها صوتي وأنا أقول: "قولي لي الحقيقة وانسي كل كلمات الحب التي قلتِها، وكل كلمة أو تصرف عبرتُ لك فيه عن مشاعري."

طأطأت رأسها وقالت: "نعم، صحيح."

وقفت وقلت: "إذن أنتِ أمام خيارين لا ثالث لهما: أن تكملي حياتك معي، ولكن هذه المرة برضاك وإرادتك، وأن تبادليني المحبة، أو أن تتركيني وتمضي وتحصلي على حريتك وتكملي حياتك كما تريدين ومع من تحبين. فكري وأخبريني بقرارك عندما تكونين جاهزة."

وتركتها في الغرفة وخرجت. لحقت بي، وعانقتني، وقالت: "ظننت أن هذه الحقيقة ستدفعك إلى أمر آخر..."

فقاطعتها وقلت: "لن أتحدث في أي شيء إلا عندما تتخذين قرارك."

بعد يومين، دقت باب مكتبي، ركضت نحوي، عانقتني وقبّلتني وقالت: "نعم، أكرهني أهلي على ترك من ظننت أني أحببته والزواج منك، ولكني عشت في منزلك ومعك مشاعر لم أعرفها، فأنت من علّمني الحب الحقيقي، الحب بدون مقابل. لا أريد تركك، أريد أن أكمل حياتي كلها معك، وألا يفرق بيننا سوى الموت..."

وهكذا كان.

الكاتبة: حنان رمضان

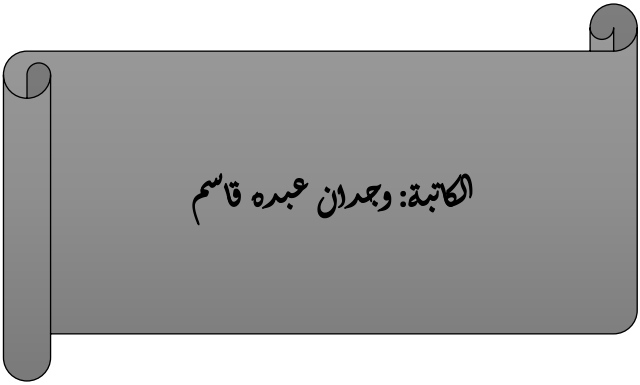
الكاتبة: وجدان عبده قاسم

{الباب الاخير}

"الوعد الاخير للحكاية"

اليوم لا أكتبُ بأناملٍ مُرتعشة، ولا أبكي على أطلالِ ذكرياتٍ لم تكن، كأنّني وجدتُ نفسي أخيرًا، لا لأنّها كانت ضائعة، بل لأنّني دفنتُها تحتَ قعرِ اليأس.

اليوم أقفُ لا كوني الطّرف الأكثر بؤسًا، بل كوني روحًا بحُلّةٍ أخرى قرّرت التّخطّي.

أدركتُ أن التّعافي يبدأ من القلب، عندما نُقفلُ الأبواب لا نتركها مُواربة، وحينما نكتفي بالصّمت لا لأنّ الكلمات مُبتورة، بل لأنّنا لم نجد من يُصغي لملامحنا جيدًا.

أيقنتُ أن النّسيان لا يشبه الغياب، وأنّ الجِراح لا تُشفى تمامًا، بل نتركها في زاويةٍ لا تمسّها ذاكرة الحنين.

الآن، وبعد التّشافي، أكتبُ الوعد الأخير للحكاية، وأبدأ مُجدّدًا في شيءٍ يشبهني، في فصلٍ لا أستنزف فيه نفسي، ولا أُهمل ما خُلقتُ من أجله.

أنا اليوم أرتدي وعدًا نسيته، لكنّه لم ينسني.

الكاتبة: وجدان عبده قاسم / اليمن

الكاتبة: ميس شحده العالول

{الباب الأخير}

"التفاؤلُ المستحيل!"

دوّامةٌ سكنتْ في عقليَ المُتعَب... لم تستطعْ أفكاري المُشوَّشة الهروب منها، بل وقفتْ الأفكار تذرف عبراتٍ حرّى على أطلال أحلامي التي كتبتُ يومًا عنها: "سأحققها بإذن الله..." صرعَني اليأس، وتبرّم أملي منّي.. كنتُ وحدي ألهثُ حتى الاختناقِ دونَ أنْ أخطوَ خطوةً واحدةً. هذه أنا في بداية ومنتصف عام ٢٠٢٣م، مُكبَّلةٌ بألفِ قيدٍ من صنعي.. مشتّتة في واقعٍ لا يستدعي التشتت، أئدُ مُنايَ فور ولادتهِ بقلقي الشديد، وريشتي المرتجفة.

حتى اندلعتِ الحرب على غزة -حيثُ كنتُ- في أكتوبر عام ٢٠٢٣م، ليزداد الرعب في هرم أُسّي وصولًا إلى تلك اللحظة التي اقترب فيها الموتُ مني أكثر من أيّ وقتٍ مضى.. كان ذلك في السابع عشر من نوفمبر لعام ٢٠٢٣م، حزامٌ ناريٌ متواصل لا يفصلنا عنه سوى بيتٍ وشارعٍ صغير.. من هول الموقفِ غابَ عني إدراكي للزمان والمكان، واختلطَ الألمُ بالخوفِ، والموتُ بآمالي المُؤَجَّلة.. فعندما نجوتُ من ذلك الموقف المصيري بفضل الله، كان الموتُ قد أهدى آمالي نبضًا خافتًا رقيقًا للحياة.. هل يمكن للموتِ أن يهبَكَ حياة؟ أجل، فَمَنْ أصدقُ من الموت!

مرّ أسبوعٌ.. ولم أتعافَ من الحزام الناريّ!

مر أسبوعانِ.. والخناق يشتدّ أكثر فأكثر.

مرّت ثلاثة أسابيع.. لم أعد أُبالي بنبضِ الآمال الضعيف وأنا أرى الرعبَ يقتاتُ على روحي..

ثم.. قررتُ العبور. قررتُ تجاهلَ وقعَ خطواتِ الموت، ورائحةَ البارود، وصراخَ الجراح.. فالضحيةُ أحيانًا تنتصر إن شاء خالقها.

تمسّكتُ بأذكاري أكثر.. بوردي من القرآن الكريم، تشبّثتُ بأملي في الله يومئذٍ كنتُ لا أملك أملًا حيًّا سواه.. فأنزل الله سكينتهُ عليّ، ورزقني من الطمأنينة يومها ما يكفي ليغمر عالمًا.. رغم اشتداد الحصار، وتقدّم الآليات العسكرية وتجولّها حولنا.

خرجتُ من بينها -بفضل الله- أصطحبُ معي أحلامي التي عادتْ.. عادتْ من بين مخالب الوجع والفقد. حينها فقط، عندما واجهتُ الموت.. شعرتُ أنني تحرّرتُ من قيودي الزائفة.. شعرتُ أنني عبرتُ مسافة الاستيئاسِ إلى التفاؤل المستحيل.

فتعهّدتُ أحلامي ورعيتها.. هدهدتها، ووثقتُ بها. "سأنشرُ روايتي الأولى -بإذن الله- عندما تنتهي الحرب."

بدأت خطواتي الجادة لذلك.. آمنتُ بحلمي في وقتٍ لم يكن ليؤمن بهِ أحد..
"سأكونُ طبيبةً كاتبةً بإذنِ المولى عز وجل"

حملتُ حلمي في حجرةٍ مميزة في حقيبة النزوح، سرتُ بهِ من قدرِ الله إلى قدرِ الله..

فأتقدّم لامتحانٍ في كلية الطب بين الرصاص فيما السماء حمراءُ تضيئُها حرائقُ مشتعلة. أُكمِلُ روايتي في أقسى أيام المجاعة السوداء.. لأن الكتابةَ ليست ترفًا بل مقاومة!

عندما وضعتِ الحرب أوزارها، أمسكتُ روايتي الأولى بين يديّ، رواية "صَدِيقِيَ الأَمفوتِيريّ" الصادرة عن مكتبة ومطبعة سمير منصور.. تأملتُها بحُبٍّ بالغ، قبل أن أخاطب نفسي: "ها أنا ذي قد عبرتُ.. ها أنا ذي قد فعلتها بفضلِ الله.."

ورغم سنين الحرب هذه، لم أفقد الرداء الأبيض، بل غدوتُ طبيبة متدرّبة في المستوى الرابعِ في كلية الطب البشريّ، ولله الفضل والمنّة.

في غزّة، رغم الآلام المتلاحقة التي قد تجزّ شأفة أي أمل، لم نتوقفْ عن البحثِ عن مخرج رغم الاستنزاف الذي يطوّق أحلامنا وآفاقنا وأجسادنا.. بل وأبهرنا العالم برؤية مخرج لم يَرَه من قبلنا أحد. فالمخرجُ دائمًا ما يكون موجودًا بفضل الله، ولا يمكن للكبَدِ المتفاقم أن يُنسِي المؤمن الغزيّ الآية الكريمة: "ومن يتقِّ الله يجعل له مخرجًا".

الكاتبة: ميس شحدة العالول /قطاع غزة

الكاتب: ربيع عويس

"الباب الاخير"

لم أكن أعلم أن الأبواب تملك ذاكرة.

كنتُ أظنّها مجرد خشبٍ يُفتح ويُغلق، حتى وقفتُ يومًا أمام بابي الأخير، وشعرتُ أنّه ينظر إليّ أكثر مما أنظر إليه.

في تلك الليلة، كان كل شيء هادئًا بشكلٍ مخيف.

المدينة نائمة، والسماء فارغة إلا من قمرٍ شاحب يشبه قلبًا تعب من الانتظار.

جلستُ على الأرض قرب الباب، أراقب ظلي الممتدّ أمامي، وأفكّر بكل الأبواب التي عبرتها في حياتي دون أن أنتبه.

باب الطفولة الذي خرجتُ منه مسرعًا كي أكبر.

باب الأصدقاء الذين وعدوا بالبقاء ثم اختفوا كالدخان.

باب الحب الذي ظننته سيبقى مفتوحًا إلى الأبد، لكنه أُغلق في وجهي ذات مساء دون تفسير.

وها أنا الآن... أمام الباب الأخير.

{الباب الأخير}

لم يكن يشبه أي بابٍ آخر.

كان صامتًا أكثر من اللازم، وكأنّه يعرف شيئًا أخفاه الجميع عني طويلًا.

مددتُ يدي نحوه، لكنني تراجعت.

أحيانًا لا نخاف مما خلف الباب... بل نخاف مما سنصبحه بعد عبوره.

تذكّرتُ نفسي القديمة.

ذلك الشخص الذي كان يضحك بسهولة، ويثق بالناس بسهولة أكبر.

الشخص الذي كان يؤمن أن كل النهايات مؤقتة، وأن كل الذين يرحلون سيعودون يومًا.

كم يبدو غريبًا الآن... كأنّه شخص آخر لا أعرفه.

الحياة لا تغيّرنا دفعةً واحدة، بل تنتزع أجزاءنا بهدوء.

كل خيبة تأخذ شيئًا.

كل وداع يطفئ ضوءًا.

كل مرة نقول فيها "أنا بخير" ونحن نحترق من الداخل... نفقد جزءًا جديدًا من أنفسنا.

وقفتُ أخيرًا.

وضعتُ يدي على المقبض البارد، وشعرتُ أن قلبي يخفق بعنف، كأنه يرفض العبور.

لكنني كنت متعبًا من الوقوف بين الأشياء.

متعبًا من أنصاف المشاعر، وأنصاف الأحلام، والأبواب المواربة.

فتحتُ الباب.

وللمرة الأولى... لم أجد أحدًا في الجهة الأخرى.

لا صوت.

لا ضوء.

لا نهاية عظيمة كما تخيّلت دائمًا.

فقط أنا... وطريق طويل مجهول.

حينها فهمت.

الباب الأخير لا يقودنا إلى مكان، بل يقودنا إلى أنفسنا الحقيقية.

إلى النسخة التي وُلدت من كل الخسارات، وكل الليالي الثقيلة، وكل الأشياء التي كسرتنا ولم تقتلنا. خطوتُ خطوةً واحدة فقط، لكنني شعرتُ أنني أترك خلفي عمرًا كاملًا. أغلقتُ الباب ببطء.

{الباب الأخير}

لا لأنني كرهت الماضي... بل لأن بعض الأبواب لا يجب أن تبقى مفتوحة كي ننجو.

وفي تلك اللحظة تحديدًا، أدركت شيئًا مؤلمًا وجميلًا معًا:

أن أصعب الأبواب ليست التي نغلقها خلف الآخرين...

بل تلك التي نغلقها خلف النسخة القديمة منّا.

الكاتب: ربيع عويس

الخاتمة:

ومع طيّ الورقة الأخيرة

من هذا الكتاب، نكون قد عبرنا معاً ذلك الممر الضيق الذي يفصل بين ما كان وما سيكون. إن إغلاق "الباب الأخير" ليس إعلاناً بالهزيمة، ولا هو نهاية العالم، بل هو الإعلان الحقيقي عن بزوغ فجر جديد. لقد شهدنا عبر هذه السطور كيف يمكن للقرارات الصعبة أن تعيد تشكيل مساراتنا، وكيف تولد البدايات الأكثر جمالاً من رحم النهايات الأكثر وجعاً.

نأمل أن تكون هذه النصوص قد لامست في نفوسكم شجاعةً منسية، أو واست قلباً يتردد في خطوته القادمة.

قائمة المشاركين المبدعين بالكتاب:

1- حمادة الحصني

2- رهف وسيم رمانة

3- ريتاج الحمايدة

4- حنان رمضان

5- ماري الزيني

6-ربيع عويس

7_ ميس شحدة العالول

8- محمد جهاد النجار

9-وجدان عبده قاسم/ اليمن

10-سمير الخطيب

11- فرح سليمان صومان

12- اميره سعيد التركي

13- نور المعاني

14-احمد الاسود

15-ورود نبيل

16-حياة

يأخذنا هذا الكتاب في رحلة آسرة إلى أعماق الوعي والإرادة، حيث يقف الإنسان على أعتاب فجرٍ جديد بعد ليالٍ طويلة من التساؤل والبحث. في "الباب الأخير"، لا تُصوَّر النهايات على أنها محطات للانكسار، بل كبوابات تُفتح على احتمالات لا حدود لها وفرصٍ تنتظر من يجرؤ على العبور.

ومن خلال قصصٍ ملهمة ونصوصٍ أدبية تنبض بالمشاعر، يشارك فريق رهف الحرف الأدبي رؤيته للتحول الإنساني، ويكشف عن القوة الكامنة في اتخاذ القرار عندما تحين لحظات الحسم.

فهل "الباب الأخير" هو النهاية التي نخشاها... أم البداية التي كنا ننتظرها؟

بين دفتي هذا الكتاب، قد تجد الإجابة التي تغيّر نظرتك إلى كل بابٍ أوشك على الإغلاق